

أعضاء البيان

@ 20 @ وإيمانهم وضراعتهم إلى { فَاسْتَجَابَ لَكُمْ } أَرْسِي مُمِدَّكُمْ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدَفَيْنَ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَ بِكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رَجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأُمُورَ قُدَّامَ . . .

فما جعل { الإمداد بالملائكة إلا لتطمئن به قلوبهم ، وما غشاهم النعاس إلا أمانة منه ، وتم كل ذلك بما ربط على قلوبهم ، فقاوموا بقلبتهم قوى الشر على كثرتهم ، وتم النصر من عند { بمدد من { ، كما ربط على قلوب أهل الكهف : { وَرَبِّطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّامَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنَرَّكَ عَظَمًا مِّن دُونِهِ إِلَّا هَاؤُلَاءِ لَاقِدُوا قُلُوبَنَا إِذَا شِطَطُوا . . .

هذه آثار الطمأنينة والسكينة والربط على القلوب المدلول عليه بمفهوم المخالفة من قوله تعالى : { فَأَتَاهُمُ اللَّيْلُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا } وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ } ، وقد جمع [] تعالى الأمرين المنطوق والمفهوم في قوله تعالى : { إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَأِ الْكَافَةِ أَنْ نَبِي مَعَكُمْ } فَتَضَيَّبَتْ قُلُوبُ الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلُوا لِقَايَ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ { فنص على الطمأنينة بالثبوت في قوله : { فَتَضَيَّبَتْ قُلُوبُ الَّذِينَ آمَنُوا } ، ونص على الرعب في قوله : { سَأَلُوا لِقَايَ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ } فكانت الطمأنينة تثبتاً للمؤمنين ، والرعب زلزلة للكافرين .

وقد جاء في الحديث أن جبريل عليه السلام . لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتوجه إلى بني قريظة ، قال : (إني متقدمكم لأزلزل بهم الأقدام) ، ومما يدل على أسباب هذه الطمانينة في هذه المواقف قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } . . . فذكر الله تعالى أربعة أسباب للطمأنينة : .

الأولى : الثبات ، وقد دل عليها قوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُذِيَانٌ مَرْدُودُونَ } .